

سورة الحديد (الآيات: 19-23)

أهداف الدرس

- 1- أن أتعرف حال الحياة الدنيا ومصير المتعلقين بها في الآخرة.
- 2- أن أدرك أسباب نيل مغفرة الله ونيل رضاه ودخول جنته
- 3- أن أقوي إيماني بالقضاء والقدر ، وأن كل ما يقع بقدر الله .

تمهيد

بعد أن ذكر الله تعالى بعض أحوال الناس في الآخرة، أردف ذلك بما يدل على تحقير ملذات الدنيا الزائلة، وكمال نعم الآخرة الباقية، لأن الدائم الخالد مفضل على المؤقت الزائل، ولذا أعقبه بالحث على ما يوصل إلى مغفرة الله وجنته ورضوانه.

فكيف وصف القرآن الكريم حال الدنيا؟ وكيف يتخلص المؤمن من المبالغة في التعلق بالدنيا وزينتها؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿إِذْ عَلَّمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لُغْوٌ وَزِينَةٌ وَتَبَاخُرُونَ فِيهَا مَالٌ إِلَّا مَنَاسِكًا وَمَا يَسْتَفِيدُونَ مِنْهَا لَمَمًا ۚ وَلِيُذَكِّرَ الَّذِينَ هُمْ يَخْلُقُونَ ۚ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ۚ﴾ (19)

سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ
 آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ؕ إِنَّمَا قَضَىٰ اللَّهُ يُوتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٠﴾
 مَا أَصَابَ مَرْصَبًا مِّنْ مَّصِيبَةٍ إِلَّا فِي الْوَعْدِ وَأَنفُسُكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُنَازِلُ ۚ
 إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۚ وَتَرْجَعُونَ ۚ وَإِلَىٰ اللَّهِ تُرْجَعُونَ ۚ
 لَا يُحِبُّ كُلُّ خُلُقٍ قَبُورٌ ﴿٢١﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۚ وَاللَّهُ
 لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ يَتَخَلَّوْنَ بِهَا مِرْوَاتٍ مِّنَ النَّاسِ بِالْأَخْلَاقِ وَمَن يَقُولُ قِيلًا
 اللَّهُ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٣﴾ [سورة الحديد: 19-23]

الفهم

الشرح:

- وَرِزْنَةً : ما يتزين به الإنسان .
- وَتَقَاخُرٌ : ما يتفاخر به الناس .
- وَتَكَاثُرٌ : ما يتباهى به الناس .
- سَابِقُوا : سارعوا .
- تَبَرَّأَهَا : نخلقها .
- مُخْتَالٍ : صاحب الخيلاء .
- فَخُورٌ : شديد الفخر على الناس .

استخلاص مضامين الآيات:

- 1- من أي شيء حذر القرآن الكريم في بداية الآيات؟
- 2- على ماذا سلى الله المؤمنين في نهاية الآيات؟

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولاً: تحذير الناس من التعلق بالدنيا وزينتها:

في هذه الآيات حذرنا الحق سبحانه من الاغترار بالدنيا وزينتها فقال: ﴿إِعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَفُؤُورِزْنَةٌ وَتَعْلَاخُرْبَيْتَكُمْ وَتَكَاثُرُ الْإِمَومَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ قال البيضاوي: «لما ذكر حال الفريقين في الآخرة، حقر أمور الدنيا، أعني ما لا يتوصل به إلى الفوز الآجل، بأن بين أنها أمور خيالية قليلة النفع سريعة الزوال، لأنها لعب يتعب الناس فيه أنفسهم جداً إتعاب الصبيان في الملاعب من غير فائدة، وهو يلهون به أنفسهم عما يهتمهم، وزينة كالملابس الحسنة والمراكب البهية، والمنازل الرفيعة، وتفاخر بالأنساب، أو تكاثر بالعدد والعدد» [تفسير البيضاوي: 5/189]

ثم قرر عز وجل ما أشرنا إليه من حقارة الدنيا بقوله: ﴿كَمْثَلْغَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بَنَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرِيَهُ مُصْبِرًا ثَمَرًا يَكُونُ حَصْلًا﴾ هذا تشبيه للدنيا بالزرع الذي ينبت الغيث في سرعة تغيره بعد حسنه، وتحطمه بعد ظهوره. والكفار هنا يراد بهم الزراع، وخصهم بالذكر؛ لأنهم أهل البصر بالزرع والفلاحة، فلا يعجبهم إلا ما هو حقيق أن يعجب، وقيل: أراد الكفار بالله، وخصهم بالذكر؛ لأنهم أشد إعجاباً بالدنيا وأكثر حرصاً عليها.

جاء في تفسير ابن كثير: «ولما كان هذا المثل دالا على زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لا محالة، وأن الآخرة كائنة لا محالة، حذر من أمرها ورغب فيما فيها من الخير، فقال: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ أي: وليس في الآخرة الآتية القربية إلا أمران، إما عذاب شديد، وإما مغفرة من الله ورضوان. وقوله: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ أي: هي متاع فان، غار لمن

ركن إليه، فإنه يغتر بها، وتُعجبه حتى يعتقد أنه لا دار سواها، ولا معاد وراءها، وهي حقيرة قليلة بالنسبة إلى الدار الآخرة». [تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: 8/ 25]

ثم قال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: سابقوا إلى الأعمال التي تستحقون بها المغفرة، والآية تقتضي المسابقة إلى جميع الأعمال الصالحات. وقد استدل بها قوم على أن الصلاة في أول الوقت أفضل.

ثم قال تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا عَرْضُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ السماء هنا يراد به جنس السموات. قيل: عرض السموات ما يقابل طولها، وعليه فإن طولها لا يعلمه إلا الله وقيل: ليس العرض هنا خلاف الطول، وإنما المعنى سعتها كسعة السموات والأرض. وهذه الجنة ﴿أَعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ وهذا دليل على أنها مخلوقة ﴿عَالَمًا﴾ أي: الموعود من المغفرة والجنة ﴿بِقَوْلِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ وهم المؤمنون، وفيه دليل على أنه لا يدخل أحد الجنة إلا بفضل الله ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مَن يَشَاءُ﴾ [تفسير النسفي: 3/ 440]

ثانيا: تسلية المؤمنين على ما يلحقهم من مصائب:

لما قال الله سبحانه: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ﴾ بين أن المصير إلى الجنة والنار وغيره مما يلحق الانسان، لا يكون إلا بقضاء وقدر، فقال: ﴿مَا أَصَابَ مَرْصِيبًا فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلُ أَن نَّبْرِأَهُ﴾ المعنى أن الأمور كلها مقدرة مكتوبة في اللوح المحفوظ من قبل أن تكون. قال رسول الله ﷺ: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ» [صحيح مسلم، كتاب القدر باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام]

والمصيبة هنا عبارة عن كل ما يصيب من خير أو شر، وقيل: المراد المصيبة في العرف، وهي ما يصيب من الشر خاصة ﴿وَفِي الْأَرْضِ﴾ يعني: القحوط والزلازل

وغير ذلك، و﴿فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ يعني: الموت والفقر، وغير ذلك و﴿تَبَرَّأْنَا﴾ معناه: نخلقها، والضمير يعود على المصيبة أو على أنفسكم أو على الأرض، وقيل: يعود على جميعها؛ لأن المعنى صحيح في كلها.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا إِلَهُ الْكَافِرِينَ﴾ أي: إثبات ذلك في كتاب. على الله يسير لاستغناؤه تعالى فيه عن العدة والمدة؛ ﴿لَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ المعنى: فعل الله ذلك وأخبركم به؛ لكيلا تتأسفوا على ما فاتكم، ومعنى ﴿لَا تَأْسَوْا﴾: لا تحزنوا، أي: فلا تحزنوا على ما فاتكم منها، ولا تفرحوا فيها. وقرأ الجمهور ﴿بِمَا آتَاكُمْ﴾ بالمد، أي: بما أعطاكم الله من الدنيا، وقرأ أبو عمرو ﴿بِمَا آتَاكُمْ﴾ بالقصر، أي: بما جاءكم من الدنيا.

فإن قيل: إن الإنسان لا يملك نفسه أن يفرح بالخير، ويحزن للشر، كما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما أتى بمال كثير: «اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينت لنا».

فالجواب: أن النهي عن الفرح، إنما هو عن الذي يقود إلى الكبر والطغيان، وعن الحزن الذي يخرج عن الصبر والتسليم ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ المختال صاحب الخيلاء، والفخور شديد الفخر على الناس، إذ قل من يُثَبَّت نفسه في حالي الضراء والسراء ﴿إِلَّا الَّذِينَ يُخْلَوْنَ وَهُمْ مَرُوضُونَ النَّاسِ بِالْبُخْلِ﴾ بدل من كل مختال فخور، أو خبر مبتدأ محذوف تقديره: هم الذين، أو منصوب بإضمار «أعني»، أو مبتدأ وخبره محذوف ﴿وَمَنْ يَقُولْ فَإِنَّ اللَّهَ الْغَنِيُّ الْغَمِيمُ﴾ تذييل يعم البخل وغيره، فكل من أعرض عن طاعة الله فضرر إعراضه يعود عليه؛ لأن الله عز وجل غني غني مطلقا، لا يلحقه ضرر بخل البخيل وإعراضه، ووصفه بأنه الحميد ليدل على جوده وكرمه الذي يوجب أن يحمد عباد.

ثالثاً: مقاصد الآيات:

تقرر هذه الآيات عدة مقاصد تربوية، منها:

- بيان حقيقة الدنيا وملذاتها، وتعظيم الآخرة وما أعد الله فيها لعباده من نعم دائمة.

- كل ما يتمتع به الإنسان في الدنيا من نعم، إنما هي جود إلهي وعطاء رباني، وما يجازى به الإنسان في الآخرة إنما هو فضل من الله ومنة.

- الإيمان بالقضاء والقدر يجعل المؤمن بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

التقويم

- 1- أوضح ما يدل على تحقير الدنيا وتعظيم الآخرة؟
- 2- هل هذه الآيات تحرم التمتع بنعم الدنيا على الإطلاق؟ ولماذا؟
- 3- ما الغاية من التذكير بأن كل ما يصيب الإنسان قد كتبه الله عليه؟

الاستثمار

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ. اُحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرَهُ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»

[صحيح مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1 - أحدد العلاقة بين هذا الحديث والآيات موضوع الدرس .

2 - بم أمر النبي ﷺ في هذا الحديث وعلام نهى؟ ولماذا؟

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: 24-26 من سورة الحديد وأجيب عن الآتي:

1 - أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: **بِالْبَيِّنَات** - **الْمِيزَانَ** - **بِأَسْسٍ** - **فَقَيْنَا** - **إِنْتَدَعَوْهَا** - **فَمَارَعَوْهَا**.

2 - ما هي أقوال المفسرين في إعراب ﴿وَرَفَعْنَا فِيهَا نِعْمَتَنَا﴾؟ وماذا يترتب على

ذلك؟

3 - أبحث في العلاقة بين الرسالات السماوية.